

بؤادر حركة الدعوة في صفوف المسلمين باندونيسيا

إعداد: الدكتور/ أحمد أسري لوبيس (Ahmad Asri Lubis)

كلية اللغة العربية، جامعة سلطان الشريف على الإسلامية (UNISSA) بروناي دار السلام
asri.lubis@unissa.edu.bn

توطئة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبعه ووالاه، وبعد فهذه الحلقة الثالثة من سلسلة تاريخ الدعوة التي قام بها المسلمات بأرض إندونيسيا في القرن المنصرم؛ فقد تناولت الحلقة الأولى تاريخ دخول الإسلام إلى الجزر الإندونيسية، كما خصصت الحلقة الثانية لمناقشة وجهة نظر الإسلام حول دور المرأة المسلمة في حقل العمل الإسلامي. أما هذه الحلقة فتعالج بؤادر حركة الدعوة في صفوف المسلمين الإندونيسيات، وهذه البؤادر تعود إلى العامل الديني بظهور الحركة الإصلاحية بأرض الوطن، والتي قادها الزعماء الإصلاحيون، كما للعامل الاستعماري أيضا دور فعال لهذه البؤادر الطيبة؛ لتأتي بعد ذلك في الحلقة التالية الجهود الفردية تمهيدا للمساعي الجماعية.

فكانت إندونيسيا – كما لا يخفى لدى العامة والخاصة – مستعمرة مدة ثلاثة قرون ونصف، وكانت ولاية «أتشيه» Aceh التي تعد أسبق مناطق البلاد دخولا في الإسلام، آخر قلعة للمناضلين سقطت على أيدي الاستعمار الهولندي، وقد بلغ عدد الشهداء في مقاومة كفاح مسلمي هذه الولاية وحدها سبعين ألف شخص.¹

وكان سقوط «أتشيه» عام 1905م، بعد سلسلة من المعارك دامت أحد عشر عاما وقد سجل كفاح أهل هذه الولاية المناضلة ضد الاستعمار كثيرا من الانتصارات البطولية، وفي مقدمتها ما صنعه «تينكو عمر» Teuku Umar الذي استشهد عام 1899م، فواصلت الكفاح بعد ذلك زوجه المناضلة «تشوت نيا دين Cut Nyak Dien» المعروفة بجهادها المستميت في حروب العصابات التي استمرت حوالي أربع سنوات انتهت باعتقالها ونفيها، إنهاءً لحركة الجهاد المسلحة كليا، وستأتي ترجمة هذه السيدة فيما بعد في حينها.

ويُعدُّ غياب الوحدة في صفوف المسلمين، ولجوء الاستعمار إلى استخدام السياسة التفريقية، من أهم الأسباب التي مكنت هولندا من السيطرة على الشعب الإندونيسي، مع أنها تعد دولة صغيرة جدا بالمقارنة بإندونيسيا.

وبعد ما تمكن الاستعمار من السيطرة على كل أراضي الأرخبيل في بداية القرن المنصرم، راجع الإندونيسيون حساباتهم الماضية – والمحاسبة الصادقة أوسع مدخل لكل الإصلاحات – ليتعرفوا على مواقع الخطأ التي سببت لهم الفشل الذريع في جهادهم ضد الاستعمار، فانتبهوا ورأوا ضرورة تغيير سياستهم النضالية، بالالتزام بالوحدة الوطنية بدل الإقليمية الضيقة، بغية توحيد صفوف المسلمين، وقد سميت هذه الخطوة المباركة بـ«حركة الإصلاح الإسلامية» Gerakan Pembaharuan Islam التي أدت إلى ظهور النشاط النسوي

¹ انظر مثلا : ملاحظات عن ندوة عقدت في ماليزيا حول الحضارات الإسلامية ، ص 28.

الإسلامي في مجال الدعوة الإسلامية والدراسات الإسلامية بصفة خاصة ، وفي المجالات الأخرى بصفة عامة، وقد تناول هذا الموضوع كتاب «حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا» كما سيتضح فيما يأتي.

وإضافة إلى ذلك فإن هناك عاملاً آخر وهو عامل استعماري، حيث إن الاستعمار الهولندي قد غير سياسته في هذا الطور نفسه بتطبيق ما يسمى بـ«السياسة الأخلاقية» Politik Etik طبقاً للمصطلح الاستعماري.

وفيما يلي حديث عن هذين الحافزين، تمهيدا للحديث عن النشأة الحقيقية لنشاط المرأة الإسلامي في القطر الإندونيسي؛ ذلك أن معرفة الأحداث تستلزم تتبع الفترة السابقة والملابسة لها.

العامل الديني الإصلاحي

كانت المؤسسات التعليمية الإسلامية قبل ظهور «حركة الإصلاح الإسلامية» ذات طابع تقليدي اعتمد على نظام الحلقات، وهو النظام الذي انتشر في الماضي في العالم الإسلامي، ولم يكن هناك اتحاد أو جهة تجمع العمل الإسلامي بالأرخبيل، فكانت كل مؤسسة تحت إشراف عالم أو شيخ يدبر شؤون مؤسسته وحده، ويدفع عنها أيدي العابثين²؛ ومن ثم كان جهاد مسلمي الأرخبيل ضد الاستعمار جهادا إقليميا متفرقا أدى في معظمه إلى فشل نضالهم وذهاب ريحهم .

ومن جهة أخرى، فإن التعاليم الإسلامية المطبقة في البلاد في ذلك الوقت قد علقَتْ بها الرواسب الهندوكية والبوذية، بالإضافة إلى الإسرانيليات والعادات والتقاليد التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وقد كان للاستعمار دور كبير في ترسيخ هذه الأشياء، وذلك بتحريضه على إبقائها وإثرائها، عن طريق الرفع من دعائها وأقطابها، وعن طريق السعي إلى تداول المطبوع حولها.³

ذلك على المستوى الوطني أو الداخلي، أما على المستوى الخارجي فإن مسلمي المنطقة – وهم في كفاحهم ضد الاستعمار – كانوا يتابعون عن كثب ما حدث في العالم الإسلامي من مستجدات وتطورات،⁴ وخاصة ما جرى بمصر والحجاز؛ لدرجة أن بعض القادة الإصلاحيين الإندونيسيين كانوا على اتصال مباشر بمن عاصروهم من علماء هذين القطرين وزعمائهما المناضلين.

وبتضافر العاملين الداخلي والخارجي قامت حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، وقد انصبت مساعيها المشكورة على المؤسسات التعليمية الاجتماعية الخاصة، والأحزاب السياسية .

² أنظر: العجدة والنهضة الإسلامية بإندونيسيا، ص 14.

³ أنظر: ثمانون عاما من نضال المرأة الإندونيسية بعد كارتييني ص 176 وما بعدها.

⁴ أنظر: تاريخ الإسلام بإندونيسيا: النشأة والتطور، ص 585.

أما العمل الأول أي إنشاء المؤسسات التعليمية الاجتماعية الخاصة، فإن الإخوة العرب المهاجرين في إندونيسيا هم الذين كان لهم فضل الأسبقية في هذا الميدان، وذلك بتأسيسهم «الجمعية الخيرية»⁵ Jami'ah Khairiyah سنة 1901م في جاكرتا Jakarta ويدعى هؤلاء العرب الأشراف والأسايد؛ لادعائهم الانتساب إلى الرسول ﷺ، وكانوا من أثرياء البلد الذين استطاعوا أن يأتوا بأعضاء هيئة التدريس للجمعية الخيرية من البلدان العربية، وكان الشيخ الفاضل / أحمد السوركتي الأنصاري السوداني (1874-1943م) كبير أساتذة هذه الجمعية، وقد سبق له أن أقام بالحجاز ردحا من الزمان للتعلم والتعليم.

الشيخ أحمد السوركتي

هو الشيخ أحمد بن محمد السوركتي الأنصاري الخزرجي، ولد بقرية تدعى أرقو بـ«دنقلة» في السودان سنة 1292هـ / 1874م، وينحدر نسبه من جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي الجليل، ذهب السوركتي إلى مكة المكرمة وهو في الثانية والعشرين من عمره، ثم توجه إلى المدينة المنورة، وقرأ بها على عدد من العلماء فنونا مختلفة، وممن قرأ عليه هذا العالم الجليل الشيخ صالح حمدان المغربي، والشيخ عمر حمدان المغربي، والشيخ محمد الخياري المغربي، والشيخ أحمد البرزنجي، ثم واصل السوركتي التحصيل العلمي بالحرم المكي، وقرأ على الشيخ شعيب بن موسى المغربي، والشيخ محمّد بن يوسف الخياط (ت 1334هـ / 1915م) رحمهم الله جميعا برحمته الواسعة، ونفعنا والمسلمين بعلومهم.

وقد حدث بين الشيخ السوركتي وبين زعماء الجمعية الخيرية اختلاف في وجهة النظر حول مكانة الشريف والشريفة، فالشيخ يرى أن المسلمين تتكافأ دماؤهم، كما ورد في الحديث النبوي،⁶ والزعماء يقولون بأن الشريف والشريفة لا يكون غيرهم كفؤا لهما.

وقد أدى ذلك إلى تأسيس «جمعية الإرشاد الإسلامية»⁷ Jamiah Irsyad Islamiyah على جهود الإخوة العرب الذين لم ينحدروا من آل البيت، حيث انضم الشيخ السوركتي إلى هذه الأخيرة، وانسحب من الجمعية الخيرية، وكان ذلك سنة 1914م، علما بأن الإدارة المركزية للجمعيتين كانت بمدينة جاكرتا.

وقد كتب لجمعية الإرشاد الإسلامية تطور وتقدم؛ حيث لم تقتصر على أبناء العرب وحدهم؛ فقد تخرج فيها قادة حركة الإصلاح الإسلامية،⁸ فأصبحت أقوى تأثيرا وأوسع نطاقا إذا قورنت بالجمعية الخيرية، كما أصبحت لها فروع عديدة وأقسام مختلفة، من بينهما القسم النسوي الذي ينقسم بدوره إلى «مسلمات الإرشاد» Muslimat Irsyad و«فتيات الإرشاد» و«طالبات الإرشاد»، على الرغم من تأخر إنشاء هذه الأقسام نسبيا، حيث كان ذلك سنة 1930م، كما سيأتي مفصلا.

⁵ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 37.

⁶ انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 6: 32.

⁷ انظر: الإرشاد ص 10؛ وحركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق، ص 71 وما بعدها.

⁸ انظر: الإرشاد، مصدر سابق، ص 21 وما بعدها؛ وحركة الإصلاح الإسلامية من جمال الدين الأفغاني إلى أحمد دحلان، ص 71.

وكان الشيخ السوركتي من أوائل الذين ينادون بالجوع إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وبتنقية العقيدة الإسلامية وتعاليم الدين مما علق بها من أدران الشرك والبدع وما في معناها.

وتأسيسا على ذلك فإن الإخوة العرب كانوا في مقدمة من أنشأ في البلاد جمعية إسلامية منظمة لتنظيم عصرها،⁹ الأمر الذي فتح لغيرهم الطريق، فتتابع بعد ذلك قيام الهيئات الإسلامية في أمكنة متباعدة وأزمنة متقاربة، وتعد «الجمعية المحمدية» Jamiyah Muhammadiyah من أهم تلك الجمعيات أو الهيئات.

الجمعية المحمدية

وهي هيئة إسلامية تعمل في حقل الدعوة الإسلامية أسسها فضيلة الشيخ الحاج أحمد دحلان K.H. Ahmad Dahlan في الثامن من ذي الحجة عام 1330 هـ / 1912م بمدينة «جوكجارتا» Jogjakarta بجوا السطى.¹⁰ وستأتي ترجمة الشيخ الفاضل فيما بعد.

وقد كان الشيخ من العلماء الذين كانوا يلقون المحاضرات والدروس الإسلامية في المساجد والمصليات، وهو من أبرز علماء جاوا Jawa في عصره، وقد ساعده في أداء رسالة الدعوة كونه إماماً بأكبر جوامع جوكجارتا يدعى جامع السلطان Mesjid Sultan الذي يشرف عليه سلطان جوكجارتا، وهي سلطنة صغيرة بوسط جاوا.

وتعمل الجمعية المحمدية – مثلاً تعمل جمعية الإرشاد السالفة الذكر – على تنقية التعاليم الإسلامية من العادات والتقاليد والأفكار الدخيلة حتى تتفق هذا التعاليم مع ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

واستخدمت الجمعية المحمدية في القيام بأعمالها الدعوية عدة وسائل، أهمها «مجالس التعليم» Majelis Taklim، والحلقات الدراسية، والمؤسسات التعليمية المختلفة، والخدمات الاجتماعية، ووسائل الإعلام.

وقد نشأت هذه الجمعية وترعرعت بجزية جاوا، ثم انتشرت فروعها في بقية منطوق البلاد في أوقات لاحقة، وبلغ عدد فروعها ما يربو عن ألف فرع؛ فليس من المبالغة أن يقال إن الجمعية المحمدية هي أكبر جمعية إسلامية خيرية في العالم،¹¹ وقال أحد العلماء الذي زاولوا الدعوة والإرشاد في المنطقة إن هذه الجمعية هي وزارة للمعارف كاملة،¹² بل إن عنايتها تشمل الشؤون الدينية والاجتماعية والصحية أيضاً.

وتسهيلاً لتدبير شؤون الجمعية كونت عدة تنظيمات تابعة لها تتمتع بالاستقلال الذاتي، وتشارك الجنسين في مختلف مراحل العمر، وفي ميادين العمل المختلفة، وهذه والتنظيمات هي:

⁹ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 37.

¹⁰ انظر لحمة سريعة عن الجمعية المحمدية بإندونيسيا، القيادة المركزية للجمعية المحمدية (جاكرتا: القيادة المركزية للجمعية، لات) ص 3.

¹¹ انظر: إندونيسيا، محمود شاكر (بيروت: الدار العلمية ط 1 / 1971م) ص 31.

¹² انظر: الإسلام في أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه.... مصدر سابق: ص 180.

المحمدية الأم و «العائشية» ، وناشئة العائشية، وشباب المحمدية، تلاميذ المحمدية، وطلاب المحمدية، وهيئة تدريس المحمدية، والخبراء المحمديون، والفنانون المحمديون، والفلاحون المحمديون، والعمال المحمديون، وغير ذلك.

وبقيام جمعية «العائشية» Aisyiyah سنة 1917م، فقد ظهرت أولى جمعية لمسلمات إندونيسيا، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل في الحلقة التالية بإذن الله.

ومن حيث الموقع، فقد كانت بداية نشاط كل من الجمعية الخيرية Jamiah Khair والجمعية المحمدية Jamiyah Muhammadiyah في جزيرة جاوا Jawa ، وأما في جزيرة سومطرة Sumatera التي تلي جاوا في الأهمية، ففيها منطقتان معروفتان بشدة تمسك أهلها بالإسلام هما: منطقة «أتشيه» Aceh السالفة الذكر، والتي تقع في أقصى الطرف الشمالي لجزيرة «سومطرة» ومنطقة «مينانكاباو»¹³ Minangkabau ؛ فإذا كانت الأولى قد امتازت بكونها أول منطقة في البلاد دخلت في كنف الإسلام، وآخر ما سقطت في قبضة الاستعمار، فقد عدت الثانية منبعاً بحركة النهضة الإسلامية؛ لكثرة العلماء والزعماء فيها، لدرجة أن بعض المؤرخين في البلاد ذهب إلى القول بأن كل حركة النهضة الإسلامية في الأرخبيل قد استوحت فكرتها من هذه المنطقة (Minangkabau) التاريخية العظيمة، بحمل الفكرة الإصلاحية من قبل أبناء أهلها إلى مختلف المناطق؛ لأنهم كثيرو التجوال ومحبو الترحال، وبمجيئ الطلاب من مختلف الأرجل إلى هذه المنطقة لينهلوا من ينابيع العلوم في مؤسساتها التعليمية، ثم كانوا ينقلون أفكار أساتذتهم الحركيين إلى أنحاء البلاد، كما يعد من عوامل النهضة الإسلامية في الأرخبيل تأثير وسائل الإعلام التي كان يشرف عليها الدعاة والكتاب من هذه المنطقة العظيمة المعروفة بمناظرها الطبيعية الخلابة. وهذه المنطقة تقع في غرب الجزيرة، وهي تطل على المحيط الهندي غرباً.

وإذا كان الإخوة العرب – كما تقدم – هم أول من بادر بتأسيس منظمة إسلامية حديثة في البلاد من أجل القيام بالأعمال الإصلاحية الدينية، فإن جذور فكرة الإصلاح بأرض مينانكاباو Minangkabau كان أسبق من ذلك بكثير، حيث يرجع تاريخ هذه الفكرة إلى القرن التاسع عشر، وذلك بعودة جماعة من علماء هذه المنطقة من الحجاز، وهم قد عُرفوا بـ«البدرين» Kaum Paderi ؛ وقيل إن الكلمة ترجع إلى غزوة البدر الكبرى؛ لأن البدرين كانوا يبلون بلاء حسناً في مقاومة الاستعمار الهولندي،¹⁴ كما لقبوا بـ«الطائفة البيضاء»، وكانوا يحاولون تطبيق الشريعة الإسلامية النقية الخالية من الشوائب الرواسب عن طريق القوة والعنف؛ الأمر الذي أغضب أنصار العادات والتقاليد من الذين اتبعوا ما ورثوه عن آبائهم بحذافيره على غير هدى من الله، وقد لقب أنصار العادات بالمقابل بـ«الطائفة السوداء». ومن بين هذه العادات والتقاليد السيئة: شرب الخمر، والانتساب إلى الأم، وحرمان الولد من التركة، وتوريث البنت إياها، وحث النساء على السفور والاختلاط، والعياذ بالله.

¹³ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا. مصدر سابق: 37، 330.
¹⁴ انظر: التربية الإسلامية بإندونيسيا: الدفاع والتطور (إند: 161) ص 168-169.

وقد أءى ذلك إلى ءءوٲ الصراع بين هءين الفريقين؁ وفي نهاية الأمر رأٲ الطائفة السوداء أن لا قبل لهم في مواجهة الطائفة البيضاء؁ التي ءارب بلا هوادة؁ فاستءءءوا بالاستعمار الهولندي؁ والذي كان يتءين هذه الفرصة؛ ليصطءءوا في الماء العكر؛ وقد جرّ ذلك إلى قيام سلسلة من الحروب بين البءريين والهولنديين المستعمرين .

وعلى الرغم مما أءزه الاستعمار من ءءءم في الوسائل الحربية؁ فما كان ليستطيع مواجهة البءريين في وقت قصير؁ حيث ءامت الحروب المعروفة بالحروب البءرية (Perang Paderi) ست عشرة سنة (1821 - 1837م)؁ وانءءت بءغلب الاستعمار على الطائفة البيضاء بعء لجوءه إلى أسلوب الخءاع والمكر الميكافيليين.

فشلت مساعي البءريين الدعوية؁ وءينما جاء أءفءهم في بءاية القرن الماضي؁ ئاءوا بالفكرة الإصلاحية مرة أخرى؁ مكيفين أساليبهم بما يتلاءم وظروف ذلك الوقت؁ معءبرين بما فعله السابقون؛ فقام ءعاة الإصلاح الجءء بإرشاء الناس عبر الحلقات ءءراسية؁ والخطب ءينية؁ وإصءار الم جلات؁ ءمهيدا لإنشاء المءارس والمعاهد ءينية بصورة أكثر ءنظيما. وإن جل رجال هذا الطور سبق لهم أن ءرسوا بالحجاز أو مصر؁ والقاءمون من الحجاز كانوا ءلاميذ العالم الجليل الشخ أءمء خطيب (1855-1916م) الذي سيأتي الءءث عنه.

هذا؁ ويعء ما يسمى بـ«جامع جمباءن ببسي» Surau Jembatan Besi أي «جامع الجسر الءءي» أول مركز لهؤلاء الإصلاحيين؁ وقد غير اسم هذا الجامع أءير بـ«مسءء الزعاء» ' Mesjid Zuama ؛ فقد ءخرج في هذا الجامع الزعاء والعلماء الءءيئون لا يعرفون ءراجع في سبيل إءقاق الحق وإبطال الباطل. وفي مقدمة هؤلاء الزعاء ءاعية الأستاذ همكا (Hamka) الذي سيأتي الءءث عنه؁ بشيء من ءءصيل.

وقء استغرقت هذه الأعمال ءتمهيدية الإسلامية ءلاث سنوات ءقريبا؁ حيث أنشئ في مءينة باءانء بانءانء Padang Panjang غربى سومطرة كل من مءرسة طوالب Sumatera Tawalib؁ المءرسة ءينية Diniyah School التي عءءت أولى مءرسة ءينية اءءصنت البنين والبناء؁ وكان ءأسيس هذه الأخيرة سنة 1915م على يد الأستاذ الجليل «زين ءين لاءاي اليونسي» Zianuddin Labai El-Yunusi (رحمه الله). و«مءرسة طوالب» هي أقءم المءارس ءينية وأهما بالمنطقة؁ وكانت بءاية ءءاسة فيها في الجامع المءكور آنفا؁ وذلك سنة 1911م. أما ءأسيس هذه المءرسة رسميا فكان في سنة 1918م؁ ءم فيما بعء ءطورت إلى المستوى الجامعي سنة 1975م.¹⁵

¹⁵ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإءءونيسيا؁ مصدر سابق: ص 52؁ 55؛ وءربية الإسلامية بإءءونيسيا: ءفاع ءطور؁ مصدر سابق: ص 234.

وكان (لاباي Labai) المحرك الأول لتأسيس المدارس الدينية الحديثة بغربي سومطرة، وكان لمدرسته وحدها خمسة عشر فرعاً بالمنطقة سنة 1922م. وقد سبق هذا الداعية «مدرسة طوالب» في استخدام المناهج الحديثة في التعليم.¹⁶

وقد كانت من بين الطالبات اللاتي يدرسن بمدرسة هذا العالم الجليل شقيقته «رحمة اليونسية» Rahmah El-Yunusiyah؛ فقد قال عنها العلماء بأنها رائدة التربية الإسلامية للبنات، وذلك لبنائها أول مدرسة دينية للبنات وهي ما تزال طالبة بمدرسة أخيها الشقيق لاباي Labai، وقد عرف مدرسة هذه الرائدة باسم «المدرسة الدينية للبنات» Diniyah Puteri School تأسست – كما سيأتي الحديث عنها – سنة 1923م.

*** **

وأما العمل الثاني – وهو تأسيس الحركات والأحزاب السياسية – فقد كان إنشاء ما يسمى باتحاد «الأخلاق الفاضلة» Budi Utomo في 1908/05/20م أول بادرة في هذا المجال.

وكان الأعضاء المؤسسون لهذا الاتحاد من طلبة معهد العلوم الطبية بجاكرتا، وقد كانت مقاومة الاستعمار من أبرز أهدافه، وشملت عضويته معظم مناطق البلاد، ومن ثم جعل تاريخ تأسيسه «يوم النهضة الوطنية» (Hari Kebangkitan Nasional).

وقد ظهرت بعد تأسيس الأخلاق الفاضلة الحركات والأحزاب السياسية، أهمها «الشركة التجارية الإسلامية» Syarikat Islam أي الجمعية التجارية الإسلامية؛ لأن كلمة الشركة العربية الأصل استعملت في اللغة الإندونيسية في ذلك الوقت بمعنى التنظيم، وقد تأسست هذه الجمعية في 1911/11/11م بجزية جاوا برئاسة الزعيم الجليل السيد سامنهودي¹⁷ Samanhudi.

وكانت هذه الجمعية تسعى في بادئ الأمر إلى إصلاح الوضع الاقتصادي للتجار المسلمين؛ لأن النشاط التجاري في البلاد في ذلك الوقت وللأسف كان تحت سيطرة الصينيين، وأخيراً حدث بينهم وبين المسلمين توتر في العلاقات؛ فجعل الهولنديون المستعمرون يوقفون نشاطات هذه الجمعية.

وعلى إثر ذلك أي في عام 1912م أنشأ المسلمون «الشركة الإسلامية» Syarikat Islam بزعامة السيد الحاج عمر سعيد تشوكرو أمينوتو H.Omar Said Cokroaminoto.

وقد كانت هذه الجمعية اقتصادية الاسم سياسية الهدف وإسلامية المنطلق، وقد تحولت فيما بعد إلى حزب سياسي فعال يدعى «حزب الشركة الإسلامية الإندونيسية» Partai Syarikat Islam Indonesia.

¹⁶ انظر: ذكرى خمس وخمسين سنة للمعاهد الدينية للبنات ص298؛ وحركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص

55، 62.

¹⁷ نفس المصدر: ص115.

وتتلمذ على يد هذا الزعيم البارز الذي يعد من أبرز أقطاب هذا الحزب الكثير من الزعماء الإندونيسيين، ومن بينهم الرئيس الأول سوكارنو¹⁸ (Sukarno)، وقد شارك الزعيم تشوكروأمينوتو في المؤتمر الإسلامية الأول المنعقد سنة 1926م بكمة المكرمة.¹⁹

وفي سنة 1927م أُسس «الحزب الوطني الإندونيسي» Partai Nasional Indonesia برئاسة سوكارنو Sukarno الذي أصبح فيما بعد أول رئيس لإندونيسيا بعد الاستقلال، كما أسس «حزب اتحاد مسلمي إندونيسيا» Partai Pesatuan Islam Indonesia سنة 1929م، والذي كان نشاطه في البداية ينحصر في المساعي التعليمية، ثم جمع بينها وبين السياسة والاقتصاد أيضا، وكان السيدان «إلياس يعقوب» و«مختار لطفي» اللذان سبق لهما أن درس بمصر من كبار زعماء هذا الحزب²⁰.

هذا، وقد كان للزعيمات المسلمات إسهام كبير في النهوض بالأعمال السياسية داخل المؤسسات السياسية في هذه المرحلة المبكرة.²¹

وقد استخدم الدعاة المسلمون وسائل الإعلام لبث أفكارهم الإصلاحية، ومن بين هذه الوسائل ما يلي من الصحف والمجلات:

الاسم	تأسست	الملاحظات
الإمام	Al-Imam	1906
المنير	Al-Munir	1911
الإسلام	Al-Islam	1916
نراتشا	Neraca (الميزان)	1916
منير المنار	Munir Al-Manar	1918
دنيا الإسلام	Dunia Islam	1922
بنتانج إسلام	Bintang Islam (نجم الإسلام)	1923
بنديرا إسلام	Bendera Islam (لواء الإسلام)	1924
هنديا بارو	Hindia Baru (الهند الجديدة)	1924

¹⁸ انظر: الإسلام في إندونيسيا: النشأة والتطور، مصدر سابق: ص 589.

¹⁹ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 243؛ وقسمات العالم الإسلامي، مصطفى مؤمن (بيروت: دار الفتوح 1974/1م) ص 271.

²⁰ حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 170 وما بعدها.

²¹ نفس المصدر، ص 174.

هيت ليكت	Het Licht (النور)	1925	شهرية
بنتانج تيمور	Bintang Timur (نجم الشرق)	1926	يومية
فجر آسيا	Fajar Asia	1927	يومية
أوتوسان هنديا	Utusan Hindia (البعث الهندي)	1928	يومية
بمبيللا إسلام	Pembela Islam (حماة الإسلام)	1929	شهرية ²²

ومن وسائل الإعلام التي سخرت لنشر الأفكار الإصلاحية في الفترة المذكورة ما يلي من المجلات: البيان (1919م)، والإيمان (1919م)، والإيمان (1920م)، والبشير (1920م)، والإتقان (1920م)، دنيا آخرة (1923م).²³ وكان إقبال الناس على وسائل الإعلام هذه عظيما، وخاصة في غربي سومطرة، وسائر مناطق إندونيسيا، كما كان لمجلة «المنير» قراء في أنحاء ماليزيا، ونظرا لأن الصحف والمجلات كتب باللغة الملايوية، فإن بعض زعماء حركة الإصلاح الإسلامية قد ترجموا أهم مقالاتها إلى اللغة الجاوية.²⁴

العامل الاستعماري

وبعد سقوط أتنشيه Aceh المتقدم ذكرها طبق الاستعمار الهولندي ما يسمى بـ «السياسة الأخلاقية» Politik Etik القاضية بفتح باب التعلم لأبناء البلاد بصورة أكثر، وفتح باب تأسيس الاتحادات والجمعيات الأهلية المختلفة، وكل ذلك بالشروط التي أرُضت للاستعمار؛ إذ المستعمرون رأوا في ذلك الوقت أن لا جدوى لمقاومة كفاح الشعب الإندونيسي عن طريق السلاح، فحاولوا التقرب إليه بهذه السياسة الجديدة؛ توصلا إلى تغريب المواطنين بصورة مركزة، بعد ما خابت مساعي الاستعمار الصليبي في تنصير مسلمي البلاد. و عند تطبيق هذه السياسة كانت إندونيسيا بأيدي الهولنديين الذين كانوا يؤيدون الحركة التنصيرية تأييدا صريحا.²⁵ ومن دواعي تنفيذ هذا الأسلوب الجديد أن الاستعمار في ذلك الوقت قد أحس بخطورة مصير مستعمراته إذا اندلعت الحرب العالمية واستمر في عداء مع أبناء البلاد.

ومما زاد شعور الهولنديين بخطورة الوضع في ذلك الوقت تفوق اليابان العسكري في الشرقين الأقصى والأدنى، وقد وعدت اليابان مرارا بمساعدة الإندونيسيين على طرد المستعمرين الأوروبيين من كل شبر من الأراضي الإندونيسية مدعية أن «آسيا للأسياويين»؛ فلا شك أن من طبيعة الطغاة أن ينادوا بالحرية ليندوها،

²² حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 345 وما بعدها.

²³ انظر: الإعلام وتصميم المجتمع (207 : 4) ص 55-56.

²⁴ نفس المصدر، ص 56.

²⁵ انظر: حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا، مصدر سابق: ص 187.

ويتحدثون باسم الشعب ليستبدوه، ويدافعوا عن الفقير لئلا يصبح غنيا، ويقاموا الطغيان ليرفضوا طغيانا أشد وأقسى.²⁶

ومن دواعي تطبيق السياسة الأخلاقية هذه وفق المنظور الاستعماري أن هولندية قد ابتزت ملايين كثيرة من الجلدات²⁷ (Gulden) من إندونيسيا بسبب استنزاف الهولنديين ثروات إندونيسيا بوسائل متنوعة، وفي مقدماتها ما يسمى بـ «الإنتاج الإيجاري» (Kultur Stelsel) الذي فرضه الاستعمار على المواطنين في القرن التاسع عشر؛ ومن ثم فقد رأى الهولنديون أن الوقت قد حان لرد ما قام به الشعب المستعمر أمام الإنتاج الإيجاري الذي جر لهم ثروات هائلة. وقد قام الاستعمار من أجل هذا الغرض بإصلاح شؤون مستعمراته في مجالات: التربية والسياسة والاجتماع. هذا وقد فرضه الاستعمار الهولندي لأول مرة هذه السياسة سنة 1830م.

بل إن أحد أعضاء مجلس النواب الهولنديين قد صرح بذلك قائلا: «إن الأمر لم يتغير؛ إذ الاستعمار في هذه الفترة يستخدم بصورة أوضح الإنجيل والسياسة الداهية»²⁸

ولا يعنى ما سبق أن الهولنديين – وهم مستعمرون – قد فتحوا أبواب الإصلاح على مصارعها، فقد كانوا يرون أن مصالحهم هي فوق كل شيء، ومصالح مستعمراتهم كانت في الترتيب الثاني، فإذا تعارض الصالح والأصلح – وذلك ما حدث كثيرا – قدم الأصلح لا محالة؛ فالسياسة الأخلاقية هذه هي أخلاقية وفق المنظور الاستعماري²⁹.

ومهما يكن من أمر فإن هذه السياسة قد أوجدت دفعا إيجابيا لمسيرة كفاح الشعب الإندونيسي في مقاومة الاستعمار بإجماع المؤرخين الإندونيسيين أنفسهم.

فقد تغيرت صفحات تاريخ إندونيسيا المناضلة بتضافر العاملين السابقين، فأصبح الإندونيسيون يخوضون المعركة الفكرية لمواجهة الاستعمار عبر مؤسساتهم التعليمية والسياسية والاجتماعية.

وما كان لمسلمات إندونيسيا أن يبقين مكتوفات الأيدي أمام هذا السيل العرم من النهضة الفكرية، وقد أسهمن قبل ذلك في الجهاد المسلح سندا لإخوتهن الرجال.³⁰

ويتنقسم مشاركة المسلمات في هذا المجال إلى قسمين:

²⁶ هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي (دمشق: مجلة حضارة الإسلام، العدد السادس، السنة الثالثة، شعبان 1382هـ / يناير 1963م) ص 65.
²⁷ العملة الهولندية.

²⁸ *Parlementaire Geschiednis van Nederlandsch Indie*, H. Idema (Den Haag: M. Nijhoff 1924) p176; *Dutch Colonial Policy in Indonesia*, op. cit. p. 56;

وتاريخ نصف قرن من نهضة المرأة الإندونيسية (إند: 195) ص 2 وما بعدها.

²⁹ *Dutch Colonial Policy in Indonesia*, Justus Maria Von Der Kroet (USA: Columbia Univ. 1953) p. 1; *Nationalism Revolution in Indonesia*, George McT Kahin (Ithaca, N.Y: Cornel Univ. Press, 1952) p. 21.

³⁰ انظر: دور المسلمات في إندونيسيا في تاريخ نصف قرن من نهضة المرأة الإندونيسية (إند: 195) ص 2 وما بعدها.

- أولا : العمل داخل الأقسام النسوية التابعة للهيئات والجعيات الإسلامية التي يديرها الرجال.
 - ثانيا : انفراد عمل المسلمات داخل المؤسسات النسائية الإسلامية التي أنشأها بأنفسهن.
- وفيما يلي طلائع مؤسسات المسلمات الإندونيسية التي أنشئت في الربع الأول من القرن العشرين:

بالعربية	تأسست	بالإندونيسية
النساء الحرائر	1912	Putri Merdeka
مؤسسة كارتيني	1912	Kartini Fond
الزوجات الفاضلات	1913	Keutamaan Isteri
أنشطة الأمهات الوفيات	1914	Kerajinan Amai Setia
الزوجات الفاضلات	1915	Keutamaan Isteri
العائشية	1917	Aisiyah
جمعية ستي فاطمة	1918	Syarikat Siti Fatimah
جمعية سومطرة للسيدات	1920	Syarikat Kaum Ibu Sumatera
نهضة الفتاة	1920	Nahdatul Fatayat
النساء الفاضلات	1921	Wanita Utomo
نساء روضة الطلاب	1922	Wanita Taman Siswa
المعاهد الدينية للبنات	1923	Diniyah School Puteri
منظمة الفتيات المسلمات	1925	Jong Islamieten Bond ³¹

وبالإضافة إلى طلائع تلك المؤسسات التعليمية المختلفة التي تعنى بأحوال المسلمات وغيرهن في الأراضي الإندونيسية، فقد أُسِّست وأُصدِرت في الفترة المذكورة أيضا ما يلي من مختلف الصحف والمجلات:

بالعربية	تأسست	بالإندونيسية
بنات الهند	1919	Putri Hindia

³¹ انظر: نفس المصدر ، ص15.

Sunting Melayu	1912	زهرة الملايو
Wanita Sworo	1913	صوت المرأة
Putri Madeka	1914	البنات الحرائر
Penuntun Isteri	1918	مرشد النساء
Suara Perempuan	1918	صوت النساء
Perempuan Bergerak	1918	نهضة النساء
Suara 'Aisyiyah	1925	صوت العائشية
Isteri Merdeka	1925	النساء الحرائر ³²

وقد أدى كل ما تقدم من الهيئات والمنظمات، والوسائل الإعلامية بطريقة أو أخرى دورا مهما في الحركة الفكرية للنساء في الأرخيل في هذا الطور من الجهاد الفكري ضد الاستعمار.

فقد عُلِمَ مما سبق أن بداية النشاط النسائي كانت مسبقة بأعمال الرجال الإسلامية، وأن النشاط النسائي في طورها التمهيدى هذا لم تكن كلها منحصرة في الدعوة الإسلامية بمفهومها الضيق، بل إن معظمها كان نضالا وطنيا وكفاحا تحرريا من العادات والتقاليد المتنافية مع التعاليم الإسلامية الغراء، وقد سعى الاستعمار إلى إبقاء تلك العادات والتقاليد وإلى ترسيخها في المجتمع الإندونيسي؛ تمكينا من السيطرة عليه وتمديدا لنهب ثرواته.

وإذا نظرنا إلى المفهوم الشمولى للدعوة، والذي ينضوى تحته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن مساعي النساء الإندونيسيات في مرحلة الطفولة هذه، قد اندرج تحت النهي عن المنكر؛ فقد كان ولا يزال الاستعمار بألوانه المختلفة ورواسبه العديدة من أكبر المنكرات العائقة لطريق العمل الإسلامى.

وعلى الرغم من أن هؤلاء الأمهات من المؤسسات النسائية لم تستمر جلها مدة طويلة؛ بكونها قامت بسبب معالجة الظروف الطارئة الوقتية؛ فإنها قد أعطت دفعا إيجابيا لما أنشئ في أوقات لاحقة من مختلف هيئات نسائية أخرى ظهرت وفق الظروف والأوضاع التي لابتستها.

علما بأن بعض تلك الإنجازات الإسلامية النسائية الرائدة، ما تزال قائمة حتى الآن، بل إن بعضها ظلت تتطور وتتقدم على مر السنين، تؤتي ثمارها كل بفضل قوة أرضية نضالها وإخلاص القائمات على أمورها. وتعد منظمة «العائشية» (Aisyiyah) و«المعاهد الدينية للبنات» (Diniyah Puteri) من عداد هذا النوع، فهما أكثر المؤسسات الإسلامية النسائية امتيازاً ماضيا وحاضرا؛ لمتعتهما بالمناعة والقوة الجاذبية الخاصة، الأمر

³² انظر: نفس المصدر، ص 18.

الذي جعلنا تسيران قدما، ويتركز الحديث فيما يلي في هاتين المؤسستين الأولى قد نشأت بجاوا والأخرى بسومطرة.

وبعد، فهذه البوادر من حركة الدعوة الإصلاحية التي ساهمت فيها المسلمات بإندونيسيا، وستأتي بعدها الجهود الفردية من صفوف المسلمات المؤمنات لتليها الجهود والمسااعي الجماعية بصورة أكثر فعلا وأفضل تنظيما، ولا شك أن للرجال المؤمنين العاملين بحقل الدعوة أيادي بيضاء في الدفع بحركة الدعوة النسوية نشأة وتطورا، كما سلاحظ ذلك فيما تأتي من الحلقات بإذن الله تعالى، والله الموفق.

(إلى الحلقة القادمة بعون الله)

قائمة المراجع

- الإسلام في أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه، رؤوف شلبي (القاهرة: مطبعة سعادة ط2 1981م).
- إندونيسيا، محمود شاكر (بيروت: الدار العلمية ط1 / 1971م).
- قسمات العالم الإسلامي، مصطفى مؤمن (بيروت: دار الفتح ط1/1974م).
- لحمة سريعة عن الجمعية المحمدية بإندونيسيا، القيادة المركزية للجمعية المحمدية (جاكرتا: القيادة المركزية للجمعية، لات).
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، مجموعة من المستشرقين (ليدان : مطابع بريل 1965م).
- هكذا علمتني الحياة، مصطفى السباعي (دمشق: مجلة حضارة الإسلام، العدد السادس، السنة الثالثة، شعبان 1382هـ / يناير 1963م).
- Ahmad. H.Z.A. (1976). *Memperkembangkan dan mempertahankan Pendidikan Islam di Indonesia*. Jakarta : Bulan Bintang Cet.Pertama.
- B. Chris Manto A. (1985). *Aisyyiah Suatu Organisasi Wanita Islan di Indonesia*. Jakarta: Fak. Sastera, U.I. (العائشية منظمة نسائية إسلامية بإندونيسيا).
- Badjeri. H.A. (1987). *Irsyad*. Jakarta : PP Al-Irsyad. (الإرشاد).
- Departemen Penerangan RI. (1984). *Perjuangan Wanita Indonesia 10 Windu Setelah Kartini (1904-1984)*. (ثمانون عاما من نضال المرأة الإندونيسية بعد كارتيني).
- Hadikusuma. H.D. (n.y.) *Aliran Pembaharuan Islam dari Jamaluddin Samapai K.H. A. Dahlan*. Jogjakarta: Penerbit Persatuan, Cet. k- 3 ND.
- (حركة الإصلاح الإسلامية من جمال الدين الأفغاني إلى أحمد دحلان).
- Idema. I. (1924). *Parlementaire Geschiednis van Nederlandsch Indie*. Den Haag: M. Nijhoff.
- Jakarta Dhalia. (1978). *Peringatan 55 Tahun Diniyah Puteri Padang Panjang* (ذكرى 55 عاما للمعاهد الدينية للبنات بادنج بانجانج).

- Kahin. G.M.T. (1952). *Nationalism Revolution in Indonesia*. Ithaca, N.Y: Cornel Univ. Press.
- Kowani. (1978). *Sejarah Setengah Abad Pergerakan Islam di Indonesia*. Jakarta : Balai Pustaka. (نصف القرن من تاريخ نهضة المرأة الإندونيسية).
- Kroct. J.M.V.D. (1953). *Dutch Colonial Policy in Indonesia*. USA: Columbia Univ.
- Mardjoned. R. (1980). *Catatan Dari Seminar Peradaban Islam di Malaysia*. Serial Media Dakwah, No. 72 Juni 1980.
(ملاحظات عن ندوة عقدت في ماليزيا حول الحضارات الإسلامية).
- Noer. D. (1988). *Gerakan Moderen Islam di Indonesia 1900-1942*. Jakarta : LP3ES Cet. Ke-4. (حركة الإصلاح الإسلامية بإندونيسيا).
- Panji Masyarakat. (1990). *Pers dan Polarisasi Masyarakat*. Kolom Artikel. No 639, 21-28. (الإعلام وتصميم المجتمع).
- Salam. S. (n.y). *Muhammadiyah dan Kebangunan Islam di Indonesia*. Djakarta: N.V Mega. ND. (المحمدية والنهضة الإسلامية بإندونيسيا).